عشر جمادى الآخرة سنة احدى وثمانمائة (١٣٩٩ م) (106)

قدّمنا ذكر هؤلاء المذكورين على ذكر ابناء اولاد زين الدين المبدوء بذكره في الطبقة الثالثة لكون فيهم من هو اسنّ منهم واقدم عهدًا فقدّمناهم بالذكر على ابناء زين الدين لترتيب المعاصرة التي عاصروا فيها بعضهم بعضًا وان كان منهم من هو اصغر من ابناء اولاد زين الدين فهو تبع لقرابته فاقتضت الحال ان نجعله مع اقاربه ونجعل ابناء اولاد زين الدين يتلو بعضهم بعضًا ويكون ذكرهم خاتمة طبقة جدّهم

(ستأتي البقيّة)

عقل الحيوان

(ردّ على مكاتب الضياء)

للاب لويس شيخو اليسوعي

لم يقنع « الكاتب الفاضل خليل بك سعد » بانتقادنا على مقالته في « قوى الحيوان العاقلة » التي نشرها في مجلة الضياء . فحاول في العدد الاخير من هذه المجلة (٢ : ١٥) نقض الادلّة اللامعة التي اثبتنا فيها فساد رأيه والاحرى ان نقول انهُ ضرب عن هذه البيّنات صفحًا ليلتجئ الى المماحكة والتمويه ويسرُّنا انهُ صرّح هذه المرّة عن نيّته ودافع جهارًا عن وحدة العقل في الانسان والبهيمة ولم يتستّر كما فعل في مقالته الاولى .

هذا واننا نشكر لجناب الكاتب ثناءهُ على الاباء اليسوعيين « لفضلهم في نشر المعارف ولوقوفهم بالمرصاد لانتقاد كل ما يشتمون فيه رائحة المباينة للمبادئ الموكول اليهم تعضيدها فيخدمون بذلك الامّة والعلم خدمةً تذكر فتشكر اذ لا يخفى ما يترتب على الانتقاد والمناظرات الادبيّة في العلم من الفوائد الكثيرة التي تنجم عن البحث واحتكاك القرائح فضلًا عن استلفات الجمهور للمطالعة والاستفادة » . والحقّ يُقال أنّنا لم نردّ على كاتب هذه الاسطر الّا لما لحظنا في مقالته من ثلّ اركان « المبادئ الموكول الينا تعضيدها » بل قل بالاحرى انها المبادئ الموكول تعضيدها الى كل ذي عقل صائب وذوق سليم فان رشقها احد بسهامه وجدنا في طريقه للدفاع والمناضلة عنها . وذلك ما اوجب تكبرنا على « حضرة العلامة الفاضل صاحب مجلة الضياء » لأنهُ بتسامحه في

نشر مقالة سفسطيّة تساوي بين الحيوان والانسان في مجلة مصدّرة باسمه كأنهُ يصادق على هذه الآراء الكفريّة فضلًا عن كونهِ يُريب القرّاء بصحّة معتقدهِ. فهيهات اذن ان نعدّ « نشر مثل هذه الحقائق (الاباطيل) خدمةً العلم والدين » وانّما نعتدُّها ضلالًا ومفسدةً للاخلاق يتّفق معنا في ذلك كلّ اصحاب الاديان ونصراء الآداب. وقد شعر بذلك قرّاء مقالة « قوى الحيوان العاقلة » لانهم لم يطلبوا من صاحبها متابعة هذا البحث الّا « مع التردّد والوجل » فليت شعري ما لهم يتردّدون ويوجلون ان كان مدار الكلام على حقيقة من الحقائق. فانّ الحقّ لا يتردّد ولا يوجل بل لهُ الفوز والظفر شاء اعداؤهُ ام ابوا. والاولى ان يقول جناب المدافع عن عقل الحيوان انهم لم يتردّدوا الّا لعلمهم بان مقالتهُ تخالف معتقد كلّ من لهُ شاعرة دينيّة او حسٌّ ادبيّ

ولكن هلمّ نفحص ما اتانا بهِ « الكاتب الفاضل » من الادلّة الجديدة لدحض مقالتنا. قال: « يعترض علينا بما جاء في المزمور التاسع والاربعين: وهو الانسان في كرامة ولا يفهم يشبه البهائم التي لا عقل لها .. الخ »

(جوابنا) على هذا القول: اوّلًا اننا لم نعترض على جناب الكاتب بهذه الآية او غيرها من آيات الكتاب الكريم لعلمنا انّ من يُثبت عقلًا للحيوان لا يؤمن بالكتب المنزلة وانّما اتخذناها مطلعًا لمقالتنا. امّا ادلّتنا فانّها ادلّة عقليّة وقد سكت عنها جناب الكاتب أفلسلّمهُ لم يقف عليها ؟ وان وقف فما لهُ لم يدحضها ؟

ثانيًا لم نرَ آية المزمور كما رواها جناب الكاتب فلم نَقُل: « هو الانسان في كرامة ولا يفهم يشبه البهائم التي لا عقل لها » بل رويناها بالحرف عن ترجمتنا المطابقة للاصل العبرانيّ: « كان الانسان في كرامة فلم يفهم فماثل البهائم وتشبه بها ». فكيف اجاز الكاتب لنفسهِ ان يفسد روايتنا كي يردّ عليها فذلك ممّا يدلّ على احد امرين امّا انهُ لم يطالع مقالتنا او انهُ حرّفها عمدًا ليفنّدها وكلا الامرين عارٌ على صاحبهما

ثالثًا انّ آية المزامير كيفما ترجمها جناب البك الى العربيّة تؤيّد قولنا لانّ مرجعها الى انّ الانسان يختلف اختلافًا جوهريًّا عن الحيوان فاذا تعدّى وصاياهُ تعالى أضحى كالبهيمة فلم يتخذ عقلهُ المفرز لهُ عن الحيوان كمصباح يستنير بهِ لمعرفة ارادة الخالق واقامها. هكذا فسّر عامّة المفسّرين لهذه الآية منذ بدء النصرانيّة الى يومنا وعليه فانّ قول الكتاب يبيّن صريحًا انّ العقل هو المميّز الوحيد بين الحيوان والانسان

ثم اردف جناب الكاتب بعد ذلك قولهُ بان الكتاب المقدس « لم ينفِ كون المبدإ العقلي فيها وفي الانسان واحدًا »

(فنجيب) اوّلًا كجوابنا السابق أننا لم نبنِ بحثنا على آيات الكتاب بل على براهين عقليّة قاطعة فما بال جناب البك يغيّر نقطة الجدال ؟

ثانيًا قد تعدّى الكاتب طورهُ بالالتجاء الى الكتاب الكريم فانهُ ليس من ذويه ولعلهُ لم يقرأهُ قطّ بل ولم يؤمن بهِ . وعلى كل حال نجيبهُ جواب ذاك المصور الشهير للحذّاء المنتقد على ما سوى النعل في صورتهِ : « لا تتجاوز الحذاء » فلكل رجل صنعتهُ

ثالثًا قد استغربنا في الضحك عند مطالعتنا ما سطّرهُ جناب البك ليثبت انّ للحيوان عقلًا اذ استشهد بالحيّة التي نطقت فأغوت المرأة الاولى في الفردوس . فنسأل راقم هذه الحروف ألعلّهُ رأى حيّات كثيرة تنطق مثل هذه ؟ وان كانت هذه الحيّة نطقت بطبعها فما لبقيّة الحيّات نسين لهجة اجدادهنّ لاسيّما وانّ اصحاب الترقي يزعمون انّ الحيوان كما الانسان كان في البدء جرثومةً صغرى فلم تزل في تحسُّن دائم الى ان صارت كما هي اليوم وسوف تصير كالانسان في مستقبل الزمان — وان كانت لم تنطق الحيّة بطبعها فكيف استحلّ جناب البك قولهُ « بانها لم تكن شيطانًا » او آلةً في يدهِ الّا انّ هذا القول مطابق لزعم من ينكر وجود السحر كما فعل الضياء (١ : ١٢٩ , ٢٠٢) والهلال والمقتطف مرارًا وقد فنّدنا زعمهم بما لا يُنقض من البراهين الشرعيّة والعقليّة في البشير والمشرق

رابعًا وكان في وُسع الكاتب ان يأتينا بآية أُخرى من آيات الله هي أقوى على بيان حجّتهِ وما نعلم سبب سكوتهِ عنها ألا وهي آية أتان بلعام (سفر العدد ٢٢) التي نطقت بكلام اعتل من كلام الحيّة وحرّضت راكبها على طاعة الله عزّ وجلّ بينما كان نُطق الحيّة للتمرّد والعصيان . ولكن ابى كاتب مقالة « قوى الحيوان العاقلة » ان يستشهد بأتان لعلمهِ انّ لا احد من القرّاء يسلّم لهُ بعقل امّ الآذان الطويلة

فلنأتينّ الآن الى براهين جناب البك التي أسندها الى الوجه العلمي . وما ادراك ما هذه البراهين ؟ هي « شواهد عديدة تدلّ دلالة صريحة على وجود التعقّل في الحيوان والتدرّج في الادراك الى حدّ يكفي للدلالة على كون المبدأ العقلي فيهِ وفي الانسان واحدًا ولا يختلف عن تعقّلنا الّا في الكمّ والكيف »

(نقول) اننا كنا نتوقع براهين عقلية تنقض الحجج التي اوردناها في ردنا الاول (المشرق ٢ : ٧٥٢) فعاد جناب الكاتب يذكرنا « بالشواهد الدالة على تعقل الحيوان » التي عرضها بمقالته السابقة . كأننا نجهل او لم نسلم له صريحاً (راجع مقالتنا ص ٧٥٤) بان في العجماوات دلائل كثيرة تدل على تباهتها وذكائها . وانما نكر عليه كل النكير انّ هذه الدلائل تنبئ بعقل او مبدإ عقلي في الحيوان . اثبتنا ذلك ببينات ناطقة وشواهد صادقة لم ينقض منها جناب الكاتب ذرّة واحدة بل ولم يأتِ لها بذكر . أفيكذا يكون فنّ الجدال ؟ فليُنصف المنصفون

اما قوله « انهُ لا يمكننا ان نبيّن الى اي حدّ تنتهي الغريزة في الحيوان » فذلك محض سقطة . كما لو قلنا « انهُ لا يمكننا ان نبيّن الحاجز الموجود بين النبات والحيوان فاذن مبدأ حياة الحيوان والنبات واحد » أفلا يرى جناب البك ان النتيجة تخرج عن المقدمات . فان لم يمكن بيان هذا الحدّ انما يكفي ان نميّز بين قوى الحيوان وقوى النبات فانّ للنبات النموّ والتناسل وللحيوان الحسّ والقوى المشتركة كالمخيلة والذاكرة ولا يشتبه الامر على احد من البشر . وكذلك نقول عن سليقة الحيوان والعقل البشري فانّ لكل منها خواصّ يميّزها كل انسان وان سلّمنا بعدم علمنا بالحدّ الذي يمكن السليقة ان تبلغهُ . وعليهِ فقد سقطت حجّة جناب البك ونعيد الامل بان ينظر في ادلّتنا السابقة ويجيبنا عنها . ولهُ الفضل سلفاً

السفر العجب الى بلاد الذهب

للاب ايل رينو اليسوعي (تابع لما سبق)

فلمّا رأى المسافرُ الهنديّ عند أقدامهِ قال :

لا تظن انّ بكاءك يخدعني أيها الشقيّ فانكم تريدون ان تدفنوني حيّاً في هذه المضايق كما فعل امثالكم بغيري فذهبوا ضحيّة اطماعكم

قال هذا واطرق صامتاً وسكت الجميع معهُ . . .

وبينما هم كذلك اذا بصدى صوت بشريّ دوت لهُ الجبال كأنهُ صوت ملهوفٍ آنس من الحياة يطلب عوناً في بلائهِ